

التبيان في تفسير القرآن

(414) وتؤمنوا. وقرأ ابن عامر بفتح التاء، والمعنى لتسلموا بتلك الدروع من الجراحات. قوله تعالى: (فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين) (82) يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) (83) آيتان بلاخلاف. يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية له عما كان يلحقه عند تولي الكفار عن الحق الذي يلزمهم، واعراضهم عن القبول منه "فإن تولوا" هؤلاء الكفار، وأعرضوا عنك فإنه لا يلزمك تقصير من أجل ذلك، لأن الذي يلزمك "البلاغ المبين" يعني الظاهر الذي يتمكنون معه من معرفته، وقد فعلته، وقد حذف جميع ذلك لدلالة الكلام عليه، ثم أخبر عنهم بأن قال هؤلاء الكفار "يعرفون نعمة الله عليهم، مما يجدون من خلق نفوسهم، وإقذارهم، وإكمال عقولهم وما خلق الله من أنواع المنافع، التي ينتفعون بها، ثم أنهم مع ذلك ينكرون تلك النعم ان تكون من جهة الله ومنسوبة إليه، وينسبونها إلى الأصنام ثم قال: "وأكثرهم الكافرون" وإنما قال أكثرهم مع ان جميعهم كفار لامرين: أحدهما - لأن فيهم من لقنوه الكفر، ممن لم يبلغ حد التكليف لصغره، ولم تقم الحجة عليه، أو من هو ناقص العقل مأووف (1) فلا يحكم عليهم بالكفر. الثاني - إن منهم من ينكر النعمة، في حال لم يقم عليه حجة للشواغل في قلبه التي تلهيه عن تأمل أمره، والفكر في حاله، فيكون في حال حكم الساهي والصبي، وإن كان مكلفاً بغير ذلك من الأمور، فلا يكون كافراً بالانكار في _____ (1) معنى مأووف فيه آفة أي مرض في عقله.